إصلاح خطاب السلطة للجماعات المتطرفة في ضوء مناظرة ابن عباس ﷺ للخوارج

م. د. ليث مزاحم خضير كاظم*

جامعة الموصل / كلية العلوم السياسية / فرع السياسة العامة

alabedwees@yahoo.com

ملخص :

تعد كثير من الجماعات المتطرفة اليوم امتداداً لتجربة الخوارج وتصوراتهم عن الدين والدولة والمجتمع ونظام الحكم، وعلى الرغم من التباينات الملحوظة بين الخوارج المبكرين والمعاصرين؛ فإن وجوه التشابه المفاهيمي والعملي تبدو أكثر ثباتاً من الانزياح التاريخي أو الاصطلاحي؛ فكلا الجماعتين (القديمة منها والحديثة) تبدو أكثر حرصاً على مناوئة السلطة، واتهام المجتمع بالكفر والردة، وتميل لحمل السلاح والثورة الدائمة على الحكام، وقد جرت محاولات قليلة لمناظرة أسلاف الخوارج، كان من بينها المناظرة الشهيرة التي عقدها الصحابي الجليل عبدالله بن عباس ﷺ مع الخوارج الحرورية، والتي تمخضت عنها نتائج في غاية الأهمية، مثل عودة كثير من هؤلاء الخوارج إلى الصف الوطني، واختيار المتبقين منهم منابذة السلطة الشرعية عسكرياً، ولذلك تزخر هذه المناظرة الفريدة بالدروس المنهجية والسياسية والتربوية مما يصلح أن يكون منطلقاً لإصلاح خطاب السلطة للجماعات المتطرفة المعاصرة، ولا سيما تلك الجماعات التي ما تزال ترفض حمل السلاح والتمرد المسلح.

كلمات مفتاحية : خطاب؛ سلطة؛ جماعات متطرفة، مناظرة؛ ابن عباس، خوارج

Reforming the Discourse of Power Toward Extremist Groups in Light of Ibn Abbas' Debate with the Khawarejs

Assist. Dr. Laith Muzahim Khudair Kazem

Mosul University / College of Political Science

Abstract:

Many extremist groups today are considered as an extension of the Khawarijs' experience and perceptions of religion, the state, society and the system of governance, despite the noticeable differences between the early and contemporary Khawarijs; the conceptual and practical similarities seem more stable than the historical or terminological shift. Both groups (ancient and modern) seem more keen on opposing the authority, accusing society of infidelity and apostasy, and tend to take up arms and permanent revolution against the rulers. Few attempts were made to debate the ancestors of the Khawarijs, among which was the famous debate held by (Abdullah Bin Abbas) with the Khawarijs of Harura, which resulted in very important results, such as the return of many of these Khawarijs to join the national camp, and the rest of them chose to reject the legitimate authority and start a rebellion. Therefore, this unique debate is full of methodological, political, and educational lessons, which can serve as a starting point for reforming the discourse of power for contemporary extremist groups that still refuse arms, especially those groups that still refuse to bear arms and armed rebellion.

Keywords: Discourse; Power; Extremist Groups, Debate; Ibn Abbas, Khawarijs.

المقدمة

يغلب على سردية الخطاب المتطرف بنية تاريخية متأزمة، منفعلة بوقائع الماضي ومثقلة به، ويميل هذا الخطاب في غالبية معالجاته للوقائع الراهنة والأحداث المعاصرة إلى استدعاء التراث وفق منطق رجعي، ماضوي، مثقل بعاطفية مرحلة زائلة، ويصر على محاكمة اليوم بعقلية الأمس البعيد المشحون بتفاعلات تلاشت تداعياتها عبر الزمن. ومن هنا؛ تظهر الحاجة الماسة إلى خطابٍ مضاد، ومنطق ناقض، تتولاه السلطة، أو على الأقل أجهزتها التربويةً وهيئاتها التعليمية، فضلاً عن ممثليها السياسيين والتفاوضيين، ممن ألقيت عل أعتاقهم مسؤولية تفكيك البنية الفكرية لجماعات التطرف والتكفير، وتحليل أنماطها الأيديولوجية، وبناها النفسية وهياكلها العقدية، بهدف إصلاح طرائق التعامل مع هذه الجماعات، وترقية وسائل التخاطب معها، وعزل العناصر الأكثر تصلباً منها، وإخراجها من معادلة التأثير، تمهيداً لاستنقاذ الأقل تشدداً، وإعادة إنتاجهم وتأهيلهم، لإخراج المجتمع برمته من دوامة العنف والعنف المضاد.

هدف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى الإحاطة بالأبعاد التربوية والمنهجية والسياسية لمنطق الحجاج والتناظر الذي ميز مرحلة النقاش المفتوح بين السلطة ومخالفيها، وكشف القواعد العقلية والفكرية لذلك النقاش، وبيان السياق المتوتر الذي جرى فيه.

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية الدراسية من واقع الحاجة إلى إعادة النظر في المنطلقات النظرية لخطاب السلطة الموجه للجماعات المتطرفة، وإصلاح منهجية التعاطي والحوار مع تلك الجماعات، وضرورة الاسترشاد بالتراث وحكمة التاريخ، والاعتراف بأن التواصل التاريخي لذاكرة العنف عند هذه الجماعات يحتاج بدوره إلى تواصل مماثل في فكر الحوار واستلهام قواعده المؤسسة.

إشكالية الدراسة: تنطلق إشكالية الدراسة من فكرة جوهرية تتلخص في إمكانية توظيف السوابق الحوارية التراثية والمناظرات التاريخية بين السلطة ومناهضيها في إعادة بناء منطق تفاوضٍ معاصر

يصلح للتعاطي مع الجماعات المتمردة المعاصرة، أو على الأقل تلك الجماعات التي لا زالت في طور التطرف الفكري ولم تنتقل بعد لممارسة الإرهاب والعنف المسلح.

فرضية الدراسة: تذهب فرضية الدراسة إلى القول بأن التاريخ الإسلامي كان حافلاً بالحوار غير المشروط بين السلطة والجماعات المناوئة لها، مما يصلح أن يكون مصدراً لتشييد بنية خطاب سياسي وتربوي تسترشد به السلطة اليوم لإدارة حوارها المعاصر مع الفئات المتطرفة.

منهجية الدراسة: نظراً لطبيعة الدراسة؛ لذا فقد استعان الباحث بالمدخل التاريخي على نحوٍ مكثف، فضلاً عن مدخل تحليل النصوص، والوصف، والمقارنة.

هيكلية الدراسة: بنيت الدراسة على ثلاثة مباحث، خصص الأول منها لتحديد المنطلقات الأكثر اتصالاً بمضمون الدراسة، ولا سيما أصل الخوارج وأوضاع السلطة في عصرهم، أما المبحث الثاني فقد عرج على خلفية المناظرة التاريخية، وأهم ما دار فيها، بينا تطرق المبحث الأخير للدروس المنهجية والسياسية المستنبطة من المناظرة.

المبحث الأول

منطلقات تاريخية وتحديدات سياقية

على الرغم من أن الدراسة غير معنية ابتداءً بالخوض في ظاهرة الخوارج بحد ذاتها، قدر اهتمامها بتحليل جدلية حوار السلطة معهم، والردود المتبادلة بين الطرفين، إلا أن ثمة حاجةٍ للتعريج على التربة الأولى التي أنبتت هذه الجماعة، والسياق العام لولادتهم، والملابسات التي رافقت انبثاقهم الدموي والعنيف.

المطلب الأول

أصل الخوارج ومنشأهم

ينتهي إمعان النظر العلمي في قضية بروز حركة الخوارج على مسرح التاريخ إلى رد الرأي الشائع القائل بظهور هذه الفرقة عشية

حادثة التحكيم وما ترتب عليها من تداعيات؛ فالتحكيم وعاقبته كانت (كاشفة) لوجود الحركة الخارجية وليست منشئة لها[1]، يسند ذلك ما ذكرته المصادر من أن جواً مكفهراً من الأراجيف والشائعات كان قد ساد في سنين خلافة عثمانﷺ الأخيرة؛ إذ تصاعد نشاط التيارات الباطنية في تأليب الأعراب وأهل البوادي من قاطني الثغور والأمصار البعيدة (ولا سيما من سيعرفون بالقراء الممهدين لظهور الخوارج)، ودْفعهم باسم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) إلى الثورة على ولاتهم لأصغر الأمور[2].

ولا شك أن أوائل المنخرطين في الحراك الخارجي كانوا من جفاة الأعراب وأجلاف البدو، ممن استشكل عليهم فهم مقاصد الدين، فمالوا للإفراط في التعبد، والغلو في الزهد، والتعصب للرأي، وانتهجوا التأويل القرآني ليوافق أمزجتهم الثائرة، مع ضعف في المنطق وغلبة في العاطفة ونظرٍ ظاهري ساذج[3]. ويرى (ابن حزم) أن غالبية القراء -أسلاف الخوارج- هم من الأعراب الذين «**قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة**»، وليس فيهم أحد من الفقهاء أو كبار الصحابة؛ ولذلك كانوا يسارعون في تكفير بعضهم عند أقل نازلة[4].

أوائل المنخرطين في الحراك الخارجي كانوا من جفاة الأعراب وأجلاف البدو، ممن استشكل عليهم فهم مقاصد الدين

والرأي الأكثر ترجيحاً ورجاحة هو أن تبلور الفكر الخارجي المتشدد كان سابقاً على ملابسات اغتيال عثمان، بل وأبكر بكثير من تخبطات الحرب الأهلية الإسلامية كما بدت في موقعتي الجمل وصفين؛ يثبت ذلك عبر تتبع الاختلاجات الأولى للأيديولوجيا الخارجية منذ صدر الرسالة وحتى انفجارها العسكري المروع في (النهروان):

1. في حياة النبي ﷺ: لم يشهد عصر التنزيل ذلك التغير الدلالي الحاسم الذي لحق بمفهوم القراء مع الزمن؛ إذ كان يعني ابتداءً (حملة القرآن) وخاصته (وهو معنى لم يفقد مضمونه طالما رافقه الاعتدال والتدبر والاستنباط السليم)، بيد أن نزعة الوصاية والتصحيح

(1) سامي عطا حسن، الخوارج وتأويلاتهم المنحرفة لآيات القرآن الكريم وتفنيدها، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج9، ع4، جامعة آل البيت، عمان، 2013، ص61.

(2) محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، ج1، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع ومكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، 1994، ص329.

(3) المصدر نفسه، ص340.

(4) ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1975، ص156.

الذاتي، والاعتقاد باحتكار الحقيقة المطلقة، والاستدراك حتى على صاحب الرسالة نفسه وفي حضوره الحي كانت تختمر في نفوس البعض، ومن ذلك قصة (ذو الخويصرة) واعتراضه على قسمة النبي ﷺ ووصفها بالجائرة[5]، فإن تجرأ نفر ضال على نقد العدالة التوزيعية لرسولٍ معصوم؛ حينها سيكون من السهل فهم الوقاحة المتناهية للمتآمرين على عثمانﷺ وإيغالهم في الطعن بنزاهته وذمته المالية ذريعةً لاغتياله.

2. في خلافة أبي بكر الصديقﷺ: وفيها تمادى أسلاف الخوارج في أحادية النظر العقلي، ونصبوا أنفسهم معايير للحق والباطل وموازين للخطأ والصواب؛ فحروب الردة -في جوهرها- كانت تنصلاً لا عن الإسلام كلية، بل عن واجباتٍ معينة، على رأسها الزكاة[6]؛ إذ قرر هؤلاء -وعلى نحوٍ مستقل وانتقائي- أن العقد السياسي الذي أبرموه مع مركز السلطة قد أصبح ملغياً بموت أحد طرفيه، مما يبيح لهم الامتناع عن رفد هذا المركز (الفاقد للشرعية في نظرهم) بالجبايات المقررة شرعاً.

3. في خلافة عمر بن الخطابﷺ: ويندر فيها ذكر إشهار الخوارج الأولين بمقالاتهم، لما عرفوا من شدة الفاروق وغلظته على أهل الباطل، وإن كانت بعض المصادر تتحدث عن امتحان عمرﷺ لبعضهم، وفراسته في كشف بعض علاماتهم ورموزهم (ومنها حلاقة الرأس(*))، وأمره بنفي من ثبت عليه الزيغ وحظر الاختلاط به[7].

المطلب الثاني

أوضاع السلطة الإسلامية عشية ظهور الخوارج

لم يفت في عضد الإسلام فرقة أكثر من الخوارج؛ إذ واجهت الدولة الإسلامية المضطربة والمنقسمة على نفسها سياسياً حينئذٍ جماعةً شديدة البأس، متماسكة الصف، مصرة بعنادٍ أسطوري على المضي في شوط التمرد حتى نهايته، فكان لحراكها العسكري المرهق وجيوب انتفاضاتها المستمرة آثار عميقة الخطر لم تزل تداعياتها وأصدائها تتردد إلى يومنا هذا.

(5) ينظر أصل القصة ومناقشتها في: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مج1، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2006، ص ص471-474، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن (ذو الخويصرة) هو من نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة 58)، ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ط1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، 2001، ص ص507-508.

(6) إلياس شوفاني، حروب الردة، دراسة نقدية في المصادر، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1995، ص ص102-106.

(*) ذكر النبيﷺ أن من علامات الخوارج هي أن «**يحلقوا رؤوسهم**»، وقد سئلﷺ عنهم فقال» :**سيماهم التحليق**»، وقد كان الفاروق ذو بصيرةٍ في حالهم؛ إذ كانت حلاقة الرأس شعيرة الخوارج وطقسها حتى في المتأخرين منهم، ينظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ط4، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص410.

(7) سامي عطا حسن، مصدر سبق ذكره، ص62.

ولو جاز لنا البت في تحديد اللحظة الدقيقة التي رسمت خطوط الولادة الحقيقية لظاهرة الخوارج؛ فإننا سنكون حينها عاجزين عن تخطي حضور السياسة العثمانية في ذلك التبلور العنيف؛ فالاستياء الذي بدأ خافتاً من تلك السياسة (ولا سيما في مطلعها) لم يلبث أن تفجر بشكلٍ مفاجئ، ليبلغ ذروته في آخر سنتين من خلافة عثمانﷺ، بعد أن تراكمت أسبابه وعوامله، الظاهرة والخفية، وإن كان في الأمر تفصيل يطول[8].

إن كثيراً من المؤرخين كانوا قد دأبوا -وفق رؤية لا تخلو من التحامل- على إحالة بذور الثوران الخارجي إلى (تغير) ما طرأ على سياسة الدولة في عهد عثمانﷺ، وعلى نحوٍ جعل عصره أقل شبهاً بالثنائية المعيارية الراشدة (البكرية / العمرية)[9]؛ ولكن أدنى قواعد الإنصاف تلزم بضرورة أن تنعقد المقارنة لا بين المرحلة العثمانية وما سبقها من مراحل، بل بين شطري الولاية العثمانية نفسها؛ لأن شطرها الأول لم يشهد أي تململ احتجاجي، بل كان عهداً أكثر رحابةً من شدة عهد عمرﷺ وصرامته المعهودة[10]، ولذلك قيل أن الناس قد «**عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر لما عتبوا عليه**»[11].

ولعل السبب وراء هذا الهدوء المؤقت في السنوات الأولى من خلافة عثمانﷺ هو انشغال الدولة الإسلامية (رأساً وقواعد) في جني ثمار الفتوحات المتسارعة (مع كل ما جلبته تلك الحملات العسكرية من أمجاد وثـروات)، حتى إذا سكنت حركة الفتح وتوقفت؛ عاد الشأن السياسي الداخلي ليستقطب اهتمام الجميع[12]، وبالتالي؛ فإن تبسيط حوادث تلك المرحلة وتسطيح الفتنة العمياء التي صاحبتها واختزالها في تبني الدولة لمنهجٍ مفارق لأرثوذكسية (تقليدية) رتيبة ومستقرة، هو من السذاجة والانحياز ما يهدم أي موضوعية يقتضيها تناول تعقيدات تلك الحقبة.

وطالما أن المقام لا يتسع هنا لبسط المؤاخذات التي أوردها الناقمون على عثمانﷺ بالتفصيل؛ فإن الدراسة ستكتفي بذكر أبرز تلك المطاعن والمثالب، والرد عليها بإيجاز، حرصاً على بلوغ هدف

(8) هشام جعيط، الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسـلام المبكر، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص66.

(9) أحمد محمد أحمد، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، ط2، مركز للملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1988، ص ص30-31.

(10) علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، مج1، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008، ص77.

(11) ابـن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج7، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993، ص141.

(12) عبدالعزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسـلام، ط2، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص ص58-59.

المبحث، ومنعاً لتشتت النقاش وتشعب التحليل.

لقد أشاع المتبرمون من سياسة الخليفة عثمانﷺ عليه جملةً من المآخذ، يغلب عليها التداخل والتناقض والتشوش، ويغيب فيها تمييز الصحيح من المكذوب[13]، تتوزع عموماً ما بين سياسي، واقتصادي، وديني، وهذه الانتقادات والمآخذ هي كما يأتي:

1. مآخذ سياسية: وتختصر في (سوء استخدام السلطة)؛ مثل محاباة الأقربين وإسناد المناصب السياسية إليهم[14]، والنفي التعسفي للمعارضين وتعذيبهم[15]، وتواضع التاريخ النضالي، وتجميد العقوبات الجنائية، والعفو عمن لا يستحقه[16].

2. مآخذ اقتصادية: وتعني في الاصطلاح المعاصر (الاستبداد في إدارة موارد الدولة)؛ مثل زيادة رقعة المحميات الزراعية، ومنح الاقطاعيات الواسعة لآحاد الناس[17].

3. مآخذ دينية: ويجمعها مفهوم (التمرد على المقدس السائد)؛ مثل إحراق نسخ المصاحف وجمع المسلمين على مصحفٍ واحد[18]، والإتمام في صلاة السفر بدلاً من القصر، وزيادة آذان الجمعة الثاني[19].

ويلحظ أن عثمانﷺ لم يكن ليتجاهل خطورة تلك التهم، ودافع عن نفسه فيما نقل عنه الذهبي في تاريخه بقوله: «**أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم عن الاختلاف فيه، وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا لغنمي، وإنما حميته لإبل الصدقة، واما قولكم أني أعطيت مروان مائة ألف، فهذا بيت مالهم فليستعملوا عليه من أحبوا، واما قولكم تناولت أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنما أنا بشر أغضب وارضى، فمن ادعى قبلي حقاً أو مظلمة فها آنذا، فإن شاء قوداً وإن شاء عفواً**»[20].

المبحث الثاني

وقائع مناظرة ابن عباسﷺ التاريخية للخوارج الحرورية

لم تكن مناظرة موفد السلطة لهذه الجماعة الغامضة ساعتئذٍ حادثاً عابراً؛ لأن مضمون تلك الحوارات والمطارحات القصيرة والمكثفة بين الطرفين كان زاخراً بمعاني التأصيل التأسيسي لفكر

(13) حذيفة محمد المسير، رد المطاعن عن عثمان في فضله وإمامته، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، مج28، ع2، جامعة الأزهر، القاهرة، 2015، ص932، وللاطلاع تفصيلياً على مذاهب المؤرخين في إيراد تلك المطاعن؛ ينظر: عدنان محمد ملحم، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى (القرن الأول-القرن الرابع الهجري)، دراسة تاريخية منهجية، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص ص97-122.

(14) محمد أمحزون، مصدر سبق ذكره، ص ص413-440.

(15) صادق إبراهيم عرجون، عثمان بن عفان، ط2، الدار السعودية، الرياض، 1981، ص ص137-147.

(16) مأمون غريب، خلافة عثمان بن عفان، ط2، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1997، ص ص103-105.

(17) عباس محمود العقاد، عثمان بن عفان ذو النورين، ط2، مؤسسة هنداوي، وندسور (المملكة المتحدة)، 2014، ص127.

(18) محمد رضا، ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص ص84-87.

(19) دحمور منصور وشادلي مجيد، المؤامرة الأولى على الإسلام، الفتنة الكبرى وانعكاساتها سنة 35 للهجرة، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2014، ص48.

(20) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج3، عهد الخلفاء الراشدين، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990، ص430.

الخوارج اللاحق، ومنهجاً في إدارة الأزمات الفكرية معهم، وهو ما يفرض ضرورة تفصيل بيئة الحوار أو المناظرة، وأهم ما احتوته من مقولات وتصورات وشبهاتٍ وردود.

المطلب الأول

خلفيات المناظرة: السياقات المتأزمة عشية (صفين)

حرك الاغتيال الغادر لرأس الدولة وخليفتها سلسلةً من ردود الأفعال المتشنجة، وكرس تخندقاً أخذ يدفع بالأحداث نحو المزيد من التدهور؛ إذ تبعثرت المواقف والتفاعلات بين أصواتٍ تلح على الثأر الفوري من القتلة، وأخرى ترى التريث تغليباً لمصلحة جمع الأمة أولاً، وثالثة أدركت أن الورع يقتضي النأي بالنفس واعتزال حمام الدم الذي يوشك على البدء.

لقد أرسى اغتيال عثمانﷺ سابقةً أولى، فريدةً ومستفزة، تركت بصمتها الصارخة على مسارات التاريخ الإسلامي منذ مقدماتها المبكرة وحتى اليوم؛ إذ تحول (قميص عثمان) إلى شعار يتدثر به كل طامحٍ إلى السلطة، وسيفٍ مصلتٍ بوجه المخالفين[21]؛ ولذلك لا مناصٍ من الاتفاق مع (هشام جعيط) حين وصف حادث الاغتيال بأنه كان «**مأساوياً وتاريخياً**»؛ مأساوي لأن جمهور المسلمين لم يخلعوا بيعة عثمانﷺ؛ ولكنهم «**لم يكونوا في خدمته**» في الوقت نفسه، وتاريخي لأن موته كان أمراً «**كبيراً وخطيراً عندما ينظر في العواقب الوخيمة لذلك الموت**»، بالنظر «**للبلبلة المذهلة التي سيطلقها ذلك الموت من عقالها**»، وتحول هذا الموت إلى «**ضاغطٍ على التاريخ السياسي طيلة قرنين أو ثلاثة قرون**»، مطلقاً «**سيلاً من الأعمال والأفعال المأساوية في حد ذاتها، وفي زمنيتها الخاصة: الفتنة، الانشقاق، الحروب الأهلية، العنف الفتاك داخل الأمة**»[22].

(21) إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة: عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط1، ريـاض الريس للكتب والنشر، بيروت، 1999، ص74.

(22) هشام جعيط، مصدر سبق ذكره، ص ص125-126.

وللحيلولة دون أن تمر جريمة اغتيال رأس الدولة الإسلامية بلا عقوبة رادعة؛ وتحت إحساس الذنب بخذلان الخليفة الشهيد والتقصير في حقه؛ أصر معسكر الانتقام على القصاص العاجل والآني من القتلة الخوارج، لكن السلطة الجديدة (ممثلةً بالإمام

عليﷺ) أرجأت ذلك لكثرة أعوان هؤلاء وتعسر فرزهم[23]، وآثرت التريث في إنفاذ القانون لتعقيداتٍ رافقت ما يمكن تسميته اليوم بالكشف الدلالي للجريمة؛ إذ تعذر لحظتها تحديد الجناة بأعيانهم، أو غابت أدلة إدانتهم وسط الفوضى، فضلاً عن تستر كثيرٍ منهم بغطاء الدولة، واستقوائهم بوشائجهم القبلية[24]، ولذلك تروى أمير المؤمنينﷺ في شأنهم لحين اجتماع البيعة له، لأنه إن تم له ذلك؛ عجزت قبائل المتورطين بقتل عثمانﷺ عن فعل شيء أمام دولةٍ متماسكة موحدة الكلمة[25].

وعلى وجه العموم؛ لم يكن الخلاف بين معسكري الثأر والتريث متمركزاً حول قضية السلطة، بقدر ما أنه مسألة سياسية اجتهادية ذات بعدٍ ديني؛ لأن الطرفين كانا متفقين ضمنياً على وجوب القصاص من قتلة عثمانﷺ، مع تعارضهما في آلية هذا القصاص وتوقيته[26]، وإذ تشرذم جهد الأمة العسكري بين خطٍ يغلب إخضاع الأمصار المتلكئة في البيعة ويؤجل النظر في القصاص لعثمانﷺ لحين استتباب الأمور، وخطٍ يحشد القوى لقضية الثأر من قتلة عثمانﷺ ويجعلها شرطاً لبيعة السلطة الجديدة، ومع انبثاث عناصر الفتنة بشكلٍ خفيٍ داخل صفوف المعسكرين، واجتهادهم في الوقيعة بينهما(*)، مع هذه البيئة المضطربة؛ كان الصدام محتوماً، وهو ما جرى بالفعل على نحوٍ مؤسفٍ في وقعة (الجمل).

لكن الأمر لم ينته عند ذلك الحد؛ فعلى الرغم مما جرته معركة (الجمل) من ويلات؛ تمسكت ولاية الشام بموقفها المتصلب، ورفضت الاعتراف بشرعية النظام الجديد قبل تقديم قتلة عثمانﷺ للعدالة، فتمهد الطريق للجولة الثانية من الحرب الأهلية بين الأخوة الأعداء في (صفين)، وهي الجولة التي ستشهد انحياز الخوارج وتمايزهم مكانياً وفكرياً، وإسفارهم عن وجههم الصريح، وإعلانهم لعقائدهم المريضة، وولادتهم بوصفهم طليعة الفرق الأيديولوجية في الإسلام وأول الأحزاب المعارضة.

لقد سالت أحبار غزيرة في وصف ما جرى عشية (صفين)، ونقل

(23) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، (الخلفاء الراشدون 11هـ-40 هـ)، طبعة خاصة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 2015، ص405.

(24) موسى بن راشد العازمي، أبو تراب، دراسة محققة لسيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالبﷺ، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 2020، ص ص600-601.

(25) دحمور منصور وشادلي مجيد، مصدر سبق ذكـره، ص ص86-87.

(26) علي محمد الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007، ص18.

(*) كـان قتلة عثمانﷺ من الخوارج المندسين بين الفريقين أشد المتآمرين حرصاً على تقويض أي فرصة للتفاهم؛ لأنهم كانوا يدركون الخطر المحدق بهم إذا ما اصطلح الطرفان، فاستماتوا في تأجيج الخلاف وإنشاب الحرب.

الإخباريون تفاصيل الوقائع بناءً على وجهات نظرهم وتحيزاتهم الفئوية، مع ما شابها من اضطرابٍ وضعف في الإسناد؛ لكن الثابت هو أن الموقف العسكري المتضعضع لجيش الشام أجبره على اللجوء للتحكيم ورفع المصاحف على الرماح[27]، وبعد نقاشٍ طويل داخل جيش العراق؛ وافق الإمام عليؓ على وقف القتال، وتعاهد الطرفان على انتداب ممثلين عنهما ليصوغا وثيقة التحكيم، شريطة أن «**يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه**»[28]، لكن الخوارج المندسين في جيش أهل العراق رفضوا صيغة الحل السلمي برمتها، بذريعة أن الخصمين حكما الرجال في أمر الله، مطلقين صرختهم التي ستتردد عبر العصور: لا حكم إلا الله، ومنها سمي الخوارج الأولون بالمحكمة[29]، وبمجرد عودة جيش الإمام عليؓ إلى الكوفة؛ انشق عنه الرافضون للتحكيم لينزووا في موضعٍ قريب يقال له (حروراء)، والتي صار اسمها مرادفاً لأسلاف الخوارج، أي: (خوارج حرورية[*])، وفي (حروراء) نفسها؛ جرت وقائع المناظرة التاريخية بين موفد الإمام عليؓ والخوارج المتجمعين فيها، والذين بلغ عددهم قرابة (12) ألف فرد[30]، وعلى الرغم من ضخامة هذا العدد؛ فإن النواة الخارجية المتصلبة منهم (أو المؤدلجون بالاصطلاح المعاصر، أي القراء الذين انقلبوا خوارج) لم تزد على (6-8) آلاف فرد، أما البقية فأغلبهم ممن انضم لهم حديثاً بلا تبصر[31].

الخوارج قد تمردوا على السلطة الشرعية حتى قبل ظهور نتائج التحكيم، وطالبوا الإمام عليؓ أن يقر على نفسه بالخطأ والرجوع عن الاتفاق مع أهل الشام

وغني عن القول أن هؤلاء الخوارج قد تمردوا على السلطة الشرعية حتى قبل ظهور نتائج التحكيم، وطالبوا الإمام عليؓ أن يقر على نفسه بالخطأ والرجوع عن الاتفاق مع أهل الشام، وهو ما رفضه الإمام، واصفاً شعارهم (لا حكم إلا الله) بأنها: (**كلمة حق يراد بها باطل**)[32].

(27) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ط1، دار الجيل، بيروت، 1990، ص478.

(28) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج5، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص122، وكان الممثلان هما (أبو موسى الأشعري) عن أهل العراق، و(عمرو بن العاص) عن أهل الشام.

(29) ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ص472، ولنا أن ندرك بعد ذلك خبث الخوارج وسوء طويتهم؛ فقد احتجوا بالقرآن ووجوب طاعته لإجبار السلطة الشرعية على قبول التحكيم، ثم عادوا فكفروا السلطة نفسها عندما قبلت بالتحكيم الذي رفضوه آنفاً، بذريعة أنها حكمت البشر في شأن إلهي.

(*) وعلى الرغم من تكتلهمً وانفرادهم في (حروراء)؛ فإن الخوارج حتى تلك اللحظة لم يطلقوا مخزون عنفهم الدموي التكفيري، بل كانوا أقرب إلى الهدوء الذي يسبق العاصفة، وعلى النحو الذي سيجري عشية معركة (النهروان)، وما سبقها وتخللها وأعقبها من جرائم ارتكبها هؤلاء وهم في طريقهم لإقامة (دولة الفضيلة) كما فهموها.

(30) أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج1، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1992، ص ص49-50.

(31) ابن العماد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج1، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986، ص225.

(32) رفيدة صباح عبدالوهاب، سياسة الإمام علي بن أبي طالبؓ مع الخوارج، مجلة الجامعة العراقية،

المطلب الثاني

خطاب موفد السلطة، وردود الخصوم

لم يكن تكليف السلطة الشرعية لعبدالله بن عباس بن عبد المطلبﷺ إلا عن بعد نظرٍ ودرايـة؛ فهذا الصحابي الجليل من طبقة العترة والأصحاب الرفيعة، وواحداً من أعمدة البيت الهاشمي البارزة[33]، ولد في سنوات المقاطعة القرشية لبني هاشم، وقبل هجرة ابن عمه رسول الله ﷺ بثلاث سنين أو قبل ذلك بقليل، والتزم مصاحبة النبي ﷺ بعد الفتح؛ إذ كان قد أسلم سراً ضمن المستضعفين الذين عجزوا عن الهجرة[34]، ودعا له النبي ﷺ بسعة الفهم؛ فسمي (الحبر) و(البحر)، وأمام التفسير، وفقيه عصره؛ لتضلعه في أمور الدين[35]، ولما آلت الخلافة إلى ابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ؛ التزم ابن عباسﷺ جانب السلطة الشرعية، ناصحاً ومعيناً في شؤون السياسة، وقائداً وأميراً في الحرب، وأخلص المشورة والرأي في أحلك الظروف وأشدها التباساً، ولا سيما عندما أطلت فتنة الخوارج برأسها؛ إذ أراد عليﷺ إعادة هؤلاء إلى جادة الصواب(*)؛ فبعث إليهم ابن عباسﷺ لمناظرتهم، لما علم منه من حكمة وفطنة ومقدرة[36].

تستبطن مناظرة عبدالله بن عباسﷺ للخوارج الحرورية قيماً سامية، ومضامين نبيلة، وأبعاداً فكرية وروحية عميقة، وبما يجعلها نصاً نادراً وسفراً فريداً يمكن أن تستنبط منه الأمة كثيراً من القواعد المتينة، والضوابط الراجحة، والأصول الثابتة ما يعينها على التصدي للتحديات والنوازل المعاصرة، بعدها معياراً للجدل بالحسنى، وإلزام المخالف، وإبطال دعواه، وكشف مغالطاته، وزلزلة منطلقاته[37].

تستبطن مناظرة عبدالله بن عباس ﷺ للخوارج الحرورية قيماً سامية، ومضامين نبيلة، وأبعاداً فكرية وروحية عميقة

تكشف وقائع المناظرة ابتداءً خشية ابن عباسﷺ من التطور السريع للأحداث؛ إذ طلب من الإمام عليﷺ أن يعجل إليهم بقوله: «**يا أمير المؤمنين؛ أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم**»[38]، وكان عليﷺ ملماً بنوايا القوم؛ ولذلك آثر اجتناب المبادأة بالعنف مع يقينه بحتمية الصدام، ومال لتفكيك دعاويهم فكرياً بقوله: «**دعوهم**

مج46، العدد2، الجامعة العراقية، بغداد، 2020، ص157.

(33) ينظر ترجمته المطولة ومناقبه وسيرته في: مصطفى سعيد الخن، عبدالله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، ط4، دار القلم، دمشق، 1994، ص13 وما بعدها.

(34) ناصر يوسف عبدالله، المنهج القرآني في تغيير الأفكار والمفاهيم، ردود ابـن عباسﷺ على فكر الخوارج أنموذجاً، مجلة العلوم الإسلامية، مج11، العدد10، جامعة الموصل، 2020، ص138.

(35) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص ص314-317.

(*) كان الإمام عليﷺ -وقبل إيفاده ممثله للمناظرة- قد مارس شخصياً نمطاً من الوقاية الفكرية لجيشه وأنصاره عندما جمعهم ليفند بنفسه أقوال الخوارج، وألزمهم الحجة بالمنطق والدليل القاطع، ينظر: ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ص475.

(36) مصطفى سعيد الخن، مصدر سبق ذكره، ص ص155-163.

(37) رحيم سلوم مرهون وأحمد صـالـح حسين، مـنـاظـرة ابن عباسﷺ للخوارج وأثرها في علم الجدل والمناظرة، مجلة العلوم الإسلامية، مج3، العدد29، الجامعة العراقية، بغداد، 2021، ص247.

(38) أبو يوسف البسوي، المعرفة والتاريخ، ط1، ج1، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1989، ص522.

حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون»[39]، فلما أحس ابن عباسﷺ بقلق الإمام عليه؛ طمأنه بأنه: «**رجل حسن الخلق، لا أؤذي أحداً**»[40]، وأوصاه عليﷺ بأن يتجنب مخاصمتهم بالقرآن لأنه «**حمال أوجه**»، ولكن ليخاصمهم بالسنة، فإنهم «**لن يجدوا عنها محيصاً**»[41]، حينها؛ توجه ابن عباسﷺ للخوارج وقد «**لبس من أحسن ما يكون**»، ولا سيما أنه كان «**جميلاً جهيراً**»، ودخل عليهم في منتصف النهار وهم مجتمعون[42]، فهاله منظرهم وشدة عبادتهم، وتعجب من مبالغتهم في الزهد والتقشف، فلما أنكروا عليه حسن هيأته؛ ذكرهم بسنة النبي ﷺ في جواز الأخذ من طيبات الدنيا[43]، وحين سألوه عن سبب مجيئه؛ أجابهم بأنه مرسل من طرف «**أصحاب رسول اللهﷺ من المهاجرين والأنصار،...**»، ممن «**عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد**»، وعلى الرغم من امتناع بعض الخوارج من نقاش ابن عباسﷺ بقولهم: «**لا تخاصموا قريشاً**»، وأنزالهم دلالة آية [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ](*) فيه[44]؛ فإن نفراً قليلاً منهم كان أكثر استعداداً للحوار الذي دار بين الطرفين حول القضايا الشائكة الآتية[45]:

1. تحكيم عليﷺ الرجال (الحكمين) في كتاب الله الذي جاء فيه: [إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ](**).

2. امتناعه ﷺ عن سبي خصومه في معركة (الجمل) أو غنم أموالهم؛ لأنهم إن كانوا كفاراً؛ لجاز له ذلك، وإن كانوا مؤمنين؛ فلا يحل له قتالهم ابتداءً.

3. محا ﷺ عن نفسه صفة (أمير المؤمنين) من وثيقة التحكيم، فإن لم يكن أميراً للمؤمنين، فهو أمير للكافرين.

وفي مواجهة هذه المغالطات العقدية والهذيان التكفيري؛ سلك ابن عباسﷺ منهجاً هادئاً في الرد والتفنيد، وألزم خصومه بوجوب العودة إلى الصواب إن هو أجابهم في هذه المسائل، فكانت إجاباته على النحو الآتي:

1. في قضية التحكيم: بين ابن عباسﷺ أن حكم الرجال جائز،

(39) فواز بن فرحان الشمري، صحيح أخبار صفين والنهروان وعام الجماعة، دراسة نقدية فريدة وفق منهجي المحدثين والمؤرخين، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، ص646.

(40) أبو يوسف البسوي، مصدر سبق ذكره، ص522.

(41) سحر عبدالله محمد، مناظرات الخوارج في تحدي خلافة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ورده عليها: دراسة تاريخية، مجلة الآداب، مج3، العدد137، جامعة بغداد، بغداد، 2021، ص167.

(42) علي محمد الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي طالبﷺ، شخصيته وعصره: دراسة شاملة، ط2، ج1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2004، ص722.

(43) علي بن حسن بن عبدالحميد، أنوار المسارج بالفوائد المستنبطة من مناظرة حبر الأمة ابن عباس للخوارج، الشرعة والمنهاج للنشر، عمان، 2015، ص18.

(*) سورة الزخرف، الآية (58).

(44) مصطفى سعيد الخن، مصدر سبق ذكره، ص163.

(45) محمد الحسن ولد الددو، التكفير: شروطه وضوابطه وأخطاره ومزالقه، ط1، مكتب الشؤون الفنية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، نواكشوط، 2015، ص18.

(**) سورة الأنعام، الآية (57)، وسورة يوسف، الآيتين (40) و(67).

«**وسنة ماضية مأمونة**»؛ لأن الله تعالى أحال تقدير جزاء الصيد في الحرم إلى ذوي عدل [يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ](*)، وفي الإصلاح بين المرأة وزوجها [وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا](**)، فإن جاز تحكيم الرجال في اليسير من الكفارات والعارض من الخلافات؛ فإن تحكيمهم أولى فيما هو أعظم من «**حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم**»[46].

2. في قضية السبي والغنيمة: وضع ابن عباسﷺ أمام خصومه إشكالية مستحيلة لنسف حجتهم، مفترضاً على سبيل الجدل وقوع أم المؤمنين عائشة ﷺ في سبي معركة (الجمل)، ومثيراً سؤالاً محرجاً: «**أتسْبون أمكم عائشة؟**»، لأنهم إن فعلوا، كفروا لاستحلالهم زوج نبيهم، وإن قالوا: هي ليست لنا بأم؛ كفروا أيضاً لإنكارهم صريح القرآن [النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ](***)، متسائلاً على سبيل التبكيت والجدل عن الفرق بين عائشةﷺ وباقي المؤمنات[47].

3. في قضية محو عليﷺ صفة إمارة المؤمنين عن نفسه في وثيقة التحكيم: لجأ ابن عباس ﷺ إلى التاريخ النبوي القريب، مذكراً مناظريه أن النبي ﷺ قد ساير قريشاً يوم صلح الحديبية، ونزل عند مطلبهم بمحو عبارة (محمد رسول الله) من الوثيقة، واستبدالها بعبارة (محمد بن عبدالله)، مضيفاً (أي ابن عباس): «**وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه**]أي وصف نبوته[[48].

أمير المؤمنين علي ﷺ كان قد امتنع حتى عن قتال هذه النواة المتشددة، شريطة أن لا يسفكوا دماً حراماً، أو يقطعوا سبيلاً، أو يظلموا ذمة

وبانتهاء المناظرة التي امتدت على ثلاثة أيام؛ ثاب أغلب الخوارج إلى رشدهم، وعادوا عن غيهم، والتحقوا بالسلطة الشرعية، ولم يتبق منهم إلا بضعة آلاف من أقصى يمين التكفير المتطرف ممن لا أمل في إقناعهم، وهم جل من تجمعوا للحرب والإرهاب الأعمى في (النهروان)، علماً أن أمير المؤمنين عليﷺ كان قد امتنع حتى عن قتال هذه النواة المتشددة، شريطة أن لا يسفكوا دماً حراماً، أو يقطعوا سبيلاً،

(*) سورة المائدة، الآية (95)
(**) سورة النساء، الآية (35).
(46) علي بن حسن بن عبدالحميد، مصدر سبق ذكره، ص ص23-24.
(***) سورة الأحزاب، الآية (6).
(47) أحمد محمود الشوابكة، وأد الفتنة، دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص ص227-228.
(48) علي بن حسن بن عبدالحميد، مصدر سبق ذكره، ص ص25-26.

أو يظلموا ذمة، فلما فعلوا[*](كما توقع)؛ جردت لهم السلطة حملةً أبادتهم عن آخرهم، إلا آحاداً متفرقين.

المبحث الثالث

الدروس المستنبطة من مناظرة ابن عباسﷺ للخوارج

زخرت مناظرة ابن عباسﷺ موفد السلطة للخوارج بدروسٍ ثرية ومعانٍ عميقة، بعضها يستفاد مباشرةً، وبعضها الآخر يستنبط ويستدل به، تربوياً وفكرياً وسياسياً ومنهجياً، ولذلك أفرد هذا المبحث للدروس المستنبطة في شقيها: المنهجي والسياسي، لأهميتها في إصلاح خطاب السلطة ومنطقها في مواجهة هذا الجماعات وأشباهها، المعاصرة والمحتملة الظهور مستقبلاً.

المطلب الأول

الدروس المنهجية المستنبطة من المناظرة

1. حسن اختيار البيئة الزمانية والمكانية والموضوعية للمناظرة: إذ انتقى مندوب السلطة ومفوضها وقت اجتماع مخالفيه في غير عبادةٍ ولا عمل، وأظهر بقدومه إليهم في عقر دارهم نوايا السلطة السلمية، وحنو الحاكم ورأفته، ورغبته في رأب الصدع وإصلاح ذات البين واجتناب الصدام العسكري أو الحل الأمني الأحادي، فضلاً عن حرص المفاوض على البقاء في إطار نقاش موضوعي واحد، ودرأ التشعبات الجدالية أو الدوامات النقاشية الجانبية[49].

2. تحديد شروط ملزمة للتناظر والانطلاق من الثوابت المشتركة: إذ كان ابن عباسﷺ في غاية الوضوح حين قرن إجاباته عن شبهات الخوارج بشرطين متلازمين؛ الأول: الاحتكام إلى الفضاء العقدي المشترك بين الطرفين (الكتاب والسنة)، والثاني: أن يمتنع خصومه عن المراء والتملص والمماحكة إن ألزمهم الحجة وفق الشرط الأول[50].

3. اعتماد استراتيجية الاستطلاع الفكري والإنصات الهادئ للخصوم: غلب ابن عباسﷺ منطق الاستماع لدعاوى الخصم كاملةً بلا انفعال أو مقاطعة، وفضل التأني واستنفاذ طاقة مناظريه الجدلية وإنهاكهم

(*) كانت الحادثة التي دفعت السلطة للتعجيل في استئصال شأفة الخوارج والقضاء عليهم كلياً هي إقدامهم (أو فرقة شديدة الغلو منهم) على قتل الصحابي الجليل (عبدالله بن خباب بن الأرتﷺ) وعائلته بطريقة وحشية، وتبجحهم بذلك ومفاخرتهم به ورفضهم تسليم القتلة بأعيانهم، وقولهم: «**كلنا قتلناه!**»، بل واغتيالهم لموفد عليﷺ الذي أرسله لتقصي ملابسات الحادثة، ينظر: فواز بن فرحان الشمري، مصدر سبق ذكره، ص ص659-660.

(49) رحيم سلوم مرهون وأحمد صالح حسين، مصدر سبق ذكره، ص ص274-275.

(50) علي محمد الصلابي، الخوارج: نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2014، ص ص23-24.

فكرياً قبل قرع الحجة بالحجة، وحين اكتفى القوم وأفرغوا ما في جعبتهم بقولهم: «**حسبنا هذا**»؛ شرع ابن عباسﷺ حينها فقط بالهجوم المعاكس، بعد أن أحاط تماماً بطريقة تفكير الفريق الآخر.

غلب ابن عباسﷺ منطق الاستماع لدعاوى الخصم كاملةً بلا انفعال أو مقاطعة

4. التجرد والحياد الإيجابي: فعلى الرغم من أن الخوارج كانوا حينها يكفرون علياًﷺ ويعلنون الحرب على سلطته الشرعية؛ إلا أن ابن عباسﷺ كان في غاية التجرد والحياد يوم ناظرهم «**لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون**»[51]، ولم يظهر انحيازاً سوى للحق ودواعي الإنصاف والعدل، والرغبة الصادقة في إعادة هؤلاء الموتورين إلى حياض الإسلام، وإنقاذهم من ضلالات التكفير والتعصب[52]، ولذلك لم يكنﷺ مصاباً بمرض الخوارج المزمن (أي الكراهية العمياء)، ولم يمقت فيهم أشخاصاً بقدر مقته لمنهج منحرف وأيديولوجيا متطرفة.

5. التثبت من إقرار الخصم بتهافت حججه تدريجياً: فالنسق الحواري الذي اعتمده ابن عباسﷺ كان قائماً على تفكيك المغالطات على نحوٍ متسلسل، ودحض الشبهات تصاعدياً لدفع محاوريه إلى الإفلاسٍ القيمي التدريجي (**قلت: «أعندكم سوى هذه؟**)»[53]، والنسف المتتابع للقواعد المنطقية التي يستند إليها خطابهم المتزمت، وكشف عواره عبر حلقات من النقض المتواصل والمنهمر.

6. الانطلاق من مقدمات لا تقبل الرد: فالأرضية الاحتجاجية التي استندت إليها مقولات ابن عباسﷺ وردوده كانت من الرسوخ والصلابة ما لا يمكن مجاراته قط، ولا سيما عندما استعاد وقائع قريبة وأحداثاً ذائعة لتعزيز منطقه التناظري، مثل تحذير النبي ﷺ من التبتل والتقشف البدعي، ولبسه جميل الثياب، ومحوه للقب النبوة من وثيقة الحديبية تنزلاً مع عقلية المخالفين، وغيرها، وفي الحقيقة فإن ابن عباسﷺ كان قد كشف -عبر هذه اللمحة الاستقرائية- جهل الخوارج بسيرة النبي ﷺ وسنته، وفضح خوائهم الفكري وفقرهم

(51) أبو يوسف البسوي، مصدر سبق ذكره، ص522.

(52) محمد بن إبراهيم الزهراني: حوار ابن عباس الدعوي مع الخوارج، أصوله وآدابه وأساليبه، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العلوم الشرعية والعربية، العدد24، الرياض، 2011، ص480.

(53) علي بن حسن بن عبدالحميد، مصدر سبق ذكره، ص22.

الفقهي وتشبثهم بالظاهر والمحسوس، وتغليبهم المعقول المتشابه على المنقول المحكم[54].

7. إدانة الخصم بلسانه، أو نقض النقض: وهي واحدة من أبرع أساليب المناظرة وأشدها وطأةً على الخصوم؛ إذ لجأ ابن عباسﷺ لاستدراج مناظريه إلى افتراضٍ رئيس أصبح دعامةً مركزية لحجتهم (أي تحكيم القرآن وحده)، حينها؛ أثبت لهم ابن عباسﷺ جواز (بل وجوب) تحكيم البشر في أكثر من نازلة هي أقل شأناً من الدماء (الصيد في الحرم وخلاف الزوجين)، وحينها؛ انهارت حجة الخوارج المركزية؛ وأصبحوا ملزمين قرآنياً بالاعتراف أنهم كانوا مخطئين باعتراضهم على جواز تحكيم الرجال، ولو اعترضوا لأصبحوا هم المخالفين لحكم الله تعالى، فانتقضت شبهتهم وأجهضت حجتهم وبطل استدلالهم[55].

إدانة الخصم بلسانه، أو نقض النقض: وهي واحدة من أبرع أساليب المناظرة وأشدها وطأةً على الخصوم؛

8. استثارة حمية المخاطب واستنهاض غيرته وتقريعه عاطفياً: إن جماعة الخوارج الأولى التي انتظمت في المناظرة كانت لا تزال حينها –على انشقاقها السياسي ونبذها جماعة المسلمين- تحتفظ بكثيرٍ من الخصال الايجابية، خلافاً لمن جاء بعدها من أجيال خارجية لا تقر معروفاً أو تنكر منكراً[*]، ولذلك استثمر ابن عباسﷺ جذوة الإسلام والعروبة المتبقية في خصومه، وراح يذكرهم بعواقب أفعالهم الكارثية، ولا سيما قضية إنكارهم على عليﷺ امتناعه عن سبي محاربيه في معركة (الجمل) أو غنم أموالهم، موبخاً إياهم توبيخاً مخجلاً عجزوا عن الرد عليه حين قال: «**أتسْبون أمكم عائشة؟ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟**».

9. الاعتراف بمحاسن الخصم مع بيان حجمه الحقيقي: لقد أحسن ابن عباسﷺ الظن بخصومه حين ذهب إليهم منفرداً، واعترف بانغماسهم التعبدي الطقوسي مع ما فيهم من غلو («**لم أر قوماً قط أشد منهم اجتهاداً**»[56])، لكنه عاب عليهم في الوقت نفسه خلو صفوفهم من صحابة رسول الله ﷺ ورموز الأمة وعلمائها وعارفيها

(54) رحيم سلوم مرهون وأحمد صالح حسين، مصدر سبق ذكره، ص278.

(55) المصدر نفسه، ص279.

(*) قارن -على سبيل المثال- بين المحكمة الأولى (أو الحرورية) الذين ناظرهم ابن عباسﷺ؛ وجماعات الخوارج الأزارقة والنجدات وغيرهم ممن صبغوا التاريخ الإسلامي بالمذابح والانتهاكات والقلاقل والفتن، وعطلوا مشروع الأمة الحضاري لقرون طويلة.

(56) أبو يوسف البسوي، مصدر سبق ذكره، ص522.

(قوله: «**جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ،... وليس فيكم منهم أحد**»)[57]، بمعنى افتقادهم وافتقارهم للمرجعية الراشدة التي يمكن أن تعصمهم من الزلل والشطط، فضلاً عن شجاعته الأدبية التي لا تقبل بأنصاف الحلول أو المجاملات على حساب الحق، ويظهر ذلك من قوله لهم: «**فأنتم مترددون بين ضلالتين،... فأتوا منهما مخرجاً**».

(57) أحمد بن شعيب بن علي النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ط1، مكتبة المعلا، الكويت، 1985، ص197.

المطلب الثاني

الدروس السياسية المستنبطة من المناظرة

1. فض التشابك بين التطرف الفكري والإرهاب العملي: إن من أبلغ دروس المناظرة هو القدرة التي أظهرتها سلطة الإمام عليﷺ على التمييز الواعي بين مجالين متداخلين؛ الأول هو مجال التطرف الفكري والعقدي، والثاني هو مجال الإرهاب الفعلي الملموس؛ إذ عالجت السلطة كل مجال بما يليق به من سياسة، فلا هي استبقت الأحـداث فاستأصلت جماعة المجال الأول بلا بينة أو قرينة جرم (مع أنهم عينوا أميراً للصلاة وأميراً للحرب، وانفصلوا واقعياً عن جماعة المسلمين)[58] ولا هي تركت جماعة المجال الثاني يعيثون فساداً وقتلاً وإرهاباً.

أبلغ دروس المناظرة هو القدرة التي أظهرتها سلطة الإمام عليﷺ على التمييز الواعي بين مجالين متداخلين

(58) علي محمد الصلابي، الـخـوارج: نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، مصدر سبق ذكره، ص20.

2. طول الأناة والصبر على المشاغبات: فابن عباسﷺ كان مستغرقاً تماماً في المناظرة، منقطعاً إليها، متفرغاً لها، لا يشغله غيرها، وعلى امتداد أيام المناظرة الثلاثة؛ كان يغدو لنادي القوم ظهراً ولا يعود إلا عصراً، وهو في كل ذلك صابر على مراء القوم وجدالهم وتأويلاتهم المنحرفة وأفهامهم السقيمة[59]، أما أمير المؤمنين عليﷺ؛ فقد احتمل منهم ما لا يطاق من سوء الأخلاق، إذ كانوا يشغبون عليه في المسجد، ويشوشون خطبته، ولا ينقطع صراخهم بـ(لا حكم إلا الله)، فلم يزد في رده عليهم أن قال: «**حكْم الله أنتظره فيكم،... نعم! لا حكم إلا الله، كلمة حق يبتغى بها باطل**»[60].

(59) فواز بن فرحان الشمري، مصدر سبق ذكره، ص645.

(60) موسى بن راشد العازمي، مصدر سبق ذكره، ص691.

3. تطويق بؤر التطرف الفكري قبل استفحالها: ويظهر ذلك من قلق

السلطة الواضح من العزلة المفاجئة لجماعة الخوارج وانحيازهم الغريب إلى (حـروراء)، ورغبة الحاكم في سبر أغوار هذه الفئة المنشقة، وكشف أيديولوجيتها، والوقوف على مطالبها وشبهاتها، فالمفاصلة المكانية – الجغرافية عادةً ما تنبئ بمنابذة فكرية عقدية، وتشي بانقلابٍ في مفاهيم الجماعة المنشقة وانحرافٍ في متبناها النفسي ونواياها المضمرة، وليس من سبيلٍ للوقوف على حجم التغير الحاصل في منظومتها القيمية سوى بالحوار والمناظرة.

4. ويترتب على الدرس السابق فائدة مهمة، تتجلى بضرورة أن لا تقتصر التربية الفكرية والتحصين الأيديولوجي على المراكز الرئيسة والحواضر الكبرى، بل ينبغي أن تمتد رعاية الدولة لتشمل الهوامش والأطـراف بعدها مناخاتٍ أكثر تأثراً بسردية الخطاب المتطرف وجدليته الثورية.

5. تبين حال آحاد العناصر المتطرفة واجتناب الحكم الكتلي: لم يكن الخوارج الأولون يؤلفون طبقةً محددة، بل كانوا في الحقيقة غير واضحي المعالم[61]، ويمكن تعميم هذا الحكم على الجماعات المتطرفة المعاصرة، بالنظر لأنها ليست متجانسة في تشددها على مستوى الأفراد، وثمة طيف واسع يتوزع عليه هؤلاء؛ فمنهم المحترق غلواً وتعنتاً مما لا يرجى منه شفاء، ومنهم من غرر به فانقاد لهم حماسةً ورعونة، ومنهم المضطرب القلق الذي لم يحسم أمره بعد، ومنهم من ركب موجتهم لغاياتٍ ما، وهؤلاء ليسوا سواء، والواجب أن ينصب خطاب السلطة علىٰ تحذير الأشد غلواً منهم من مغبة مسلكه، ونصح من هو أدنى من ذلك بالرفق واللين والموعظة، مع الانفتاح على مطالبهم المشروعة جميعاً، أملاً في استنقاذهم من مخاطر التكفير والإرهاب، وإعادة تأهيلهم ودمجهم في المجتمع.

6. قتال البغاة مقدم على إخضاع العصاة: عندما انفجر غضب الخوارج الدموي لاحقاً، وأعملوا السيف في رقاب الأمة؛ اختارت السلطة أن تعيد ترتيب أولوياتها، فأرجأت النظر في أمر الأمصار والأطراف المتمردة سياسياً (الشام)، وتفرغت كلياً لحرب الجماعات

(61) يوليوس فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية فـي صـدر الإسـلام، ط2، ت: عبدالرحمن بـدوي، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، 1976، ص19.

الإرهابية؛ إذ حذر الإمام عليﷺ جيشه من أنهم إن خرجوا لقتال العصاة «**تركتم الخوارج يقتلون أهليكم وذراريكم**»[62]، فكان أمر تحصين الجبهة الداخلية وفرض الأمن والنظام مقدماً على إحكام سيادة الدولة وبسط سيطرتها السياسية.

7. كسر حلقة الإرهاب والإرهـاب المضاد: من دروس المناظرة البليغة هو تجنب التعجيل بالمواجهة المسلحة، وتفادي اللجوء إلى الحلول الأمنية طالما أن في التفاوض متسع، ومالم ينتهك المخالف الحرمات وعلى رأسها سلامة الأرواح وعصمة الدماء، يظهر ذلك من قول الإمام عليﷺ للخوارج: «**ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا**»[63]، وكذلك قوله: «**ولا نهيجهم ما لم يسفكوا دماً، وما لم ينالوا محرماً**»[64]، كما أن السلطة لم تعمد إلى حرمان الجماعة المتطرفة من حقوقها ما دامت مسالمة، وتعهدت باحترام حرياتها الدينية (دخول المساجد)، والاقتصادية (الفيء والأعطيات المالية)، وحتى عندما اقترفت فرقة منهم ما اقترفت من سفكٍ للدم الحرام وترويع للآمنين؛ وغدرٍ برسل الدولة، اكتفت السلطة بالمطالبة بتسليم القتلة بأعيانهم، ولم تشن عليهم حملتها النهائية إلا بعد استنفاذ الحلول السلمية كافة[65].

8. أزمة الخوارج والتكفيريين المزمنة هي أزمة علمٍ ومعرفة: فالخوارج -المتقدمين والمتأخرين- ومن على شاكلتهم هم «**قوم ليس لديهم علم ينقذهم، ولا حكمة تردعهم، تتخبطهم الشبهات، ويتسلسلون في لوازم قولية يتوهمونها، حتى تطغى على عقولهم فتغرقها**»[66]، وقد بلغ بهم الحال أن «**تركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين،... وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبلٍ وثيق منه**»[67]، والثابت أنهم أناس استزلهم الشيطان، فتضخم في وجدانهم جانب الخشية ولم يترك لهم سبيلاً لتصور سعة رحمة الله، مما أوقعهم في الشك بلطفه والارتياب بمغفرته، وهو ما يفهم من إجابة أمير المؤمنين عليﷺ حين سئل عن قتلى خوارج النهروان: هل كفروا؟ فقال: «**من الكفر فروا**»، وسئلﷺ أيضاً عنهم: «**أمنافقون**

أزمة الخوارج والتكفيريين المزمنة هي أزمة علمٍ ومعرفة:

(62) ابـن أبـي شيبة الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثـار، ط1، ج7، دار التاج، بيروت، 1989، ص558.

(63) ابن كثير، مصدر سبق ذكره، ص316.

(64) محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط1، ج2، مؤسسة الطباعة والنشر في وزاة الثقافة والإرشاد الإسـلامـي، طـهـران، 2001، ص266.

(65) محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السـلام) فـي الكتاب والسنة والتاريخ، ط2، ج6، دار الحديث للطباعة والنشر، طهران، 2004، ص ص374-375.

(66) فواز بن فرحان الشمري، مصدر سبق ذكره، ص626.

(67) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، ج22، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2013، ص254.

هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا»[68].

(68) موسى بن راشد العازمي، مصدر سبق ذكره، ص ص718-719.

وعندما يكتمل امتزاج الخليط المتفجر من الجهل والتدين الشعائري السطحي؛ تظهر اختلاجات شديدة الغرابة من العنف والإرهاب الانتحاري الأعمى، ففي لحظةٍ من التحمس المجنون؛ أمر رأس الخوارج في النهروان (عبدالله بن وهب الراسبي) أتباعه بالآتي: «**ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء**»[69]، فهي دعوة صريحة للموت المجاني، وإجهاض صوت العقل، وإلقاء النفس في المهالك العابثة.

(69) المصدر نفسه، ص ص712-713.

الخاتمة والنتائج

لم يشهد التاريخ الإسلامي جماعةً أشد تعنتاً وعناداً من الخوارج؛ إذ نشرت فصائلهم المختلفة الرعب والدمار حيثما حلت، وأجبرت الحكام على تخصيص موارد ثمينة وجهود جبارة لكسر شوكتهم ووضع حدٍ لثوراتهم المتواصلة، وقد بذلت سلطة الإمام عليﷺ ما وسعها من نصحٍ وإرشاد وموعظة لهدي أفراد الخوارج الأولين، والترفق بهم، واعتنت بمحاورتهم ونقاشهم، فكانت مناظرة موفد السلطة عبدالله بن عباسﷺ واحدةً من تلك المحاولات الأخيرة لثني الجماعة عن غيها، وإعادتها لرشدها.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعةٍ من النتائج العامة، التي تضاف للدروس والعبر المنهجية والسياسية المستنبطة من المحاورة المذكورة، ومن أهم تلك النتائج:

1. إن الدول في مستهل قيامها وأطوار نشأتها المبكرة تكون أشد التفافاً حول آبائها المؤسسين ورجالها الممكنين، وبالتالي؛ تكون صدمتها أكبر عند غيابهم المفاجئ (وفاةً أو اغتيالاً)، وهو ما يلمس في الصدع العميق الذي تركه مقتل عثمانﷺ وما جرته جريمة اغتياله على الأمة من ويلات.

2. هناك ما يمكن تسميته (نقطة انهيار) في أيديولوجيا أي جماعةٍ متطرفة؛ بمعنى الحادث الحاسم أو المنعطف الرئيس الذي يدفع

الجماعة لإعادة حساباتها أو ترتيب أولوياتها، فحادثة التحكيم -على سبيل المثال- كانت سبباً في انتقال الخوارج من المعارضة السياسية الهادئة نسبياً إلى التمرد التكفيري العنيف.

3. إن مثالية الإسلام وسمو منظومته الأخلاقية وقداسة نصوصه المنزلة لم يمنع من ولادة جيوبٍ ونتوءات مغرقة في الظلام والرجعية (والـخـوارج وأتباعهم المعاصرين دليلنا هنا)؛ فالخطر الداهم الذي يقوض الحضارات هو في القراءات المبتورة، والاستدلالات الخاطئة للنص المقدس، والتشبع بفكرة الحقيقة الأحادية التي لا يمكن تفتيتها أو حتى تصور وجودها جزئياً عند الآخر المخالف.

إن مثالية الإسلام وسمو منظومته الأخلاقية وقداسة نصوصه المنزلة لم يمنع من ولادة جيوبٍ ونتوءات مغرقة في الظلام والرجعية

4. فهمت السلطة المحاورة للخوارج المنشقين عن طاعتها أن كل فردٍ تقنعه منهم بضلالة منهج جماعته سيكون حتماً أقل بكثير من عدوٍ شرس، وأن محاورة (حروراء) هي نافذة تضيق تدريجياً لتغلق بعدها نهائياً بانتظار ملحمة (النهروان) الدامية، والثابت هو أن العصور الإسلامية اللاحقة لن تشهد هذا النمط من العفو، والتسامح، ولا سعة الصدر والمرونة حينذاك.

5. إن حمل السلاح بنية الإرهـاب، وسفك الدم الحرام، وترويع السكان الآمنين هو الفيصل في التمييز بين جماعات التطرف، ولا اعتداد بالحلول الوقائية العنيفة، أو الضربات الاستباقية العمياء، لأنها قد تكون الذريعة التي تنتظرها الجماعة المتطرفة لإطلاق غضبها المكبوت.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم.

أولاً: الكتب:

1. إبراهيم محمود، الفتنة المقدسة: عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 1999.

2. ابن أبي شيبة الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،

ط1، ج7، دار التاج، بيروت، 1989.
3. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج5، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.
4. ابن العماد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج1، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986.
5. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج7، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993.
6. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، ج22، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2013.
7. ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1975.
8. ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ط4، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
9. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، (الخلفاء الراشدون 11هـ-40 هـ)، طبعة خاصة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 2015.
10. أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مج1، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2006.
11. أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
12. أبو يوسف البسوي، المعرفة والتاريخ، ط1، ج1، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1989.
13. أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج1، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1992.
14. أحمد بن شعيب بن علي النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ط1، مكتبة المعلا، الكويت، 1985.
15. أحمد محمد أحمد، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، ط2، مركز للملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1988.
16. أحمد محمود الشوابكة، وأد الفتنة، دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

17. إلياس شوفاني، حروب الردة، دراسة نقدية في المصادر، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1995.
18. دحمور منصور وشادلي مجيد، المؤامرة الأولى على الإسلام، الفتنة الكبرى وانعكاساتها سنة 35 للهجرة، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2014.
19. شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج3، عهد الخلفاء الراشدين، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990.
20. صادق إبراهيم عرجون، عثمان بن عفان، ط2، الدار السعودية، الرياض، 1981.
21. عباس محمود العقاد، عثمان بن عفان ذو النورين، ط2، مؤسسة هنداوي، وندسور (المملكة المتحدة)، 2014.
22. عبدالعزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.
23. عدنان محمد ملحم، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى (القرن الأول-القرن الرابع الهجري)، دراسة تاريخية منهجية، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
24. علي بن حسن بن عبدالحميد، أنوار المسارج بالفوائد المستنبطة من مناظرة حبر الأمة ابن عباس للخوارج، الشرعة والمنهاج للنشر، عمان، 2015.
25. علي محمد الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ، شخصيته وعصره: دراسة شاملة، ط2، ج1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2004.
26. علي محمد الصلابي، الخوارج: نشأتهم وصفاتهم وعقائدهم وأفكارهم، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2014.
27. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، مج1، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008.
28. علي محمد الصلابي، حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007.
29. فواز بن فرحان الشمري، صحيح أخبار صفين والنهروان وعام الجماعة، دراسة نقدية فريدة وفق منهجي المحدثين والمؤرخين، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019.
30. مأمون غريب، خلافة عثمان بن عفان، ط2، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1997.
31. محمد الحسن ولد الددو، التكفير: شروطه وضوابطه وأخطاره ومزالقه، ط1، مكتب

الشؤون الفنية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، نواكشوط، 2015.
32. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، ط2، ج6، دار الحديث للطباعة والنشر، طهران، 2004.
33. محمد أمحزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، ج1، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع ومكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، 1994.
34. محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط1، ج2، مؤسسة الطباعة والنشر في وزاة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 2001.
35. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ط1، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، 2001.
36. محمد رضا، ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
37. مصطفى سعيد الخن، عبدالله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، ط4، دار القلم، دمشق، 1994.
38. موسى بن راشد العازمي، أبو تراب، دراسة محققة لسيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ، ط1، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 2020.
39. نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ط1، دار الجيل، بيروت، 1990.
40. هشام جعيط، الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000.
41. يوليوس فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ط2، ت: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، 1976.

ثانياً: الدوريات:

1. حذيفة محمد المسير، رد المطاعن عن عثمان في فضله وإمامته، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، مج28، ع2، جامعة الأزهر، القاهرة، 2015.
2. رحيم سلوم مرهون وأحمد صالح حسين، مناظرة ابن عباسﷺ للخوارج وأثرها في علم الجدل والمناظرة، مجلة العلوم الإسلامية، مج3، العدد29، الجامعة العراقية، بغداد، 2021.
3. رفيدة صباح عبدالوهاب، سياسة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ مع الخوارج، مجلة

الجامعة العراقية، مج46، العدد2، الجامعة العراقية، بغداد، 2020.
4. سامي عطا حسن، الخوارج وتأويلاتهم المنحرفة لآيات القرآن الكريم وتفنيدها، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج9، ع4، جامعة آل البيت، عمان، 2013.
5. سحر عبدالله محمد، مناظرات الخوارج في تحدي خلافة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ورده عليها: دراسة تاريخية، مجلة الآداب، مج3، العدد137، جامعة بغداد، بغداد، 2021.
6. محمد بن إبراهيم الزهراني: حوار ابن عباس الدعوي مع الخوارج، أصوله وآدابه وأساليبه، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: العلوم الشرعية والعربية، العدد24، الرياض، 2011.
7. ناصر يوسف عبدالله، المنهج القرآني في تغيير الأفكار والمفاهيم، ردود ابن عباسﷺ على فكر الخوارج أنموذجاً، مجلة العلوم الإسلامية، مج11، العدد10، جامعة الموصل، 2020.